حتى يرجع الى ماكان عليه اجيب بان اتباع شعيب كانوا على ملة اولئك الكفار
فخاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط
لان الانبيا لا يجوز عليهم الكفر مطلقا فاستعمل العود في حقهم على سبيل المجاز
وجرى بعضهم على ان العود يستعمل بمعنى صار كما يستعمل بمعنى رجع فلا
يستلزم الرجوع الى حالة سابقة بل هو انتقال من حال سابقة الى حال
مستانفة قال القايل فان لم تكن الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب
اراد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان
قال لهم شعيب على سبيل الاستفهام الانكاري اولو كنا كارهين اي كيف نعود
فيها ونحن كارهون لها وقيل لا نعود فيها وان اكرهتمونا واجبرتمونا على الرجوع
فيها لا نقبل ولا ندخل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ
نجانا الله منها والجواب عن هذا مثل ما اجيب به عن الاول وهو ان نقول
ان شعيبا قومه الذين امنوا به من تلك الملة الباطلة الا ان شعيبا نظم
نفسه في جملتهم وان كان بريا مما كانوا عليه من الكفر فاجرى الكلام على
حكم التغليب وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله ربنا اي الا ان يشا
خذلاننا وارتدادنا فيمضي قضا الله فينا وينفذ حكمه علينا وفيه دليل
على ان الكفر بمشيئة الله تعالى وقيل اراد به حسم طمعهم في العود والتعليق
على ما لا يكون وسع ربنا كل شي علما اي وسع علمه كل شي فلا يخفى عليه شي
مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا
من الاشرار ولما ايس شعيب من ايمان قومه دعا بهذا الدعا فقال ربنا
افتح اي اقض وافصل واحكم بيننا وبين قومنا بالحق اي بالعدل الذي
لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف وانت خير الفاتحين اي الحاكمين وقال الملا
الذين كفروا من قومه اي قال جماعة من اشراف قوم شعيب ممن كفر به
منهم لين اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم وما انتم عليه انكم اذا لخاسرون

اي

اي مغلوبون لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف او لاستبدال ضلالته
بهداكم وجواب القسم الذي وطأته اللام في لين اتبعتم شعيبا وجواب
الشرط قوله انكم اذا لخاسرون فهو ساد مسد الجوابين فاخذتهم الرجفة
اي الزلزلة الشديدة فاصبحوا في دارهم اي مدينتهم جاثمين اي باركين
على الركب ميتين قال ابن عباس رضي الله عنهما فتح الله تعالى عليهم بابا من
جهنم فارسل عليهم حرا شديدا فاخذ بانفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء
فدخلوا في الاسراب ليتبردوا فيها فوجدوها اشد حرا من الظاهر فخرجوا
الى البرية فبعث الله تعالى عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلتهم
وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى اجتمعوا تحت
السحابة رجالهم ونساوهم وصبيانهم الهبها الله عليهم نارا ورجفت
بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد وصاروا رمادا وروي ان الله
تعالى حبس عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم رفع
لهم جبل من بعيد فاتاه رجل فاذا تحته انهار وعيون فاتاهم واخبرهم
فاجتمعوا تحته كلهم فوقع ذلك الجبل عليهم فذلك قوله تعالى عذاب يوم
الظلة وقال قتادة بعث الله تعالى شعيبا الى اصحاب الايكة واصحاب
مدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما اصحاب مدين فاخذتهم
الصيحة صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا اجمعا قال ابو عبد الله
البجلي كان ابجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ملوك
مدين وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الايكة كلمن فلما هلك قالت ابنته
شعرا ترثيه وتبكيه كلمن هدّ ركني هلكه وسط المحلة سيد
القوم اتاه الحتف نارا تحت ظله جعلت نارا عليهم دارهم كالمضمحلة
وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان مخففة واسمها محذوف
اي كانهم لم يغنوا اي لم يقيموا وينزلوا فيها اي في ديارهم يوما من الدهر يقال

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)